مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

ملامحٌ من التَصوُراتِ المَذهَبية في شَرقِ أَفرِيقيا خلال العَصرِ الوَسيط المذهبان الشافعي والإباضي أُنموذجًا

د. إسماعيل حامد إسماعيل علي
أستاذ جامعي
باحث في تاريخ أفريقيا الوسيط
القاهرة – جمهورية مصر العربية

مُلَخّص

يرصد هذا المقال ملامح من التصورات المذهبية والفكرية التي ذاعت في شرق أفريقيا خلال "العصر الوسيط" لاسيما فيما يرتبط بكل من المذهبين الشافعي والإباضي اللّذين يُعتبران من أكثر المذاهب الدينية التي انتشرت في هذه المنطقة من القارة الأفريقية خلال تلك الفترة، وكذلك من خلال التنوع الفكري، وكذا التناقض المنهجي بين المذهبين، ما بين الغلو والشطط الفكري من جانبٍ، والاعتدال والوسطية من جانبٍ آخر. وشهدت تلك المنطقةُ قدوم العديد من الهجرات العربية والإسلامية، مُتنوعة المذاهب، والمشارب الفكرية، والدينية، وكذلك الإثنية منذ ظهور الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب، ما بين مُهاجرين من العرب، والفرس، وكذلك الهنود، وغيرهم من الإثنيات الأخرى. ولعل هذا التنوع العرقي لهؤلاء المهاجرين المسلمين كان مما زاد من فكرة التنوع الفكري والمذهبي الذي ذاع في العديد من مناطق شرق أفريقيا بصفة عامة، ومن ثم كان أكثر تلك المذاهب انتشارًا بين المسلمين في هذه البلاد كلٌ من المذهب الإباضي، والمذهب الشافعي على وجه التحديد. ويحاول المقال رصد هذين المذهبين، ونيوعهما، وأثرهما الفكري في شرق أفريقيا، وكيف كانت العلاقة بين أتباعهما، وذلك باستخدام منهج البحث والتحليل التاريخي الذي يقومُ عبر نقد، وتحليل الروايات المصدرية، ومقاربتها بالروايات الأخرى. وقد أشارت هذه الدراسةُ إلى أن المذهب الشافعي كان الأكثر انتشارًا بين كل مذاهب أهل السنة في بلاد شرق أفريقيا جنوبي البحر الأحمر، وفي أكثر الممالك والإمارات الأفريقية الواقعة على المحيط الهندي بصفة عامة. كما أكدت الدراسةُ على أن أتباع المذهب الشافعي كانوا من أصحاب المناهج الدينية المعتدلة، وهم أصحاب المذهب الوسطي، وهم أصحاب منهج ومذهب معتدل بصفة عامة، وأن العديد من المصادر التاريخية أثنت عليهم، وعلى حسن دينهم، وصلاحهم، واحترامهم للآخر.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٨ سبتمبر ٢٠٢٠
تـاريخ قبــول النشــر: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

المذاهب الفكرية؛ الخوارج؛ المذهب الإباضي؛ شرق أفريقيا؛ بلاد الزنج؛ المذهب الشافعي؛ بلاد الزيلع

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.202109

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

إسماعيل حامد إسماعيل علي. "ملامحُ من التصوراتِ المذهبية في شرقِ أفريقيا خلال العصر الوسيط: المذهبان الشافعي والإباضي أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٠. ص ٣٧ – ٤٨.

Corresponding author: ismailhamedd@gmail.com
Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّوريةُ كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يتنـاول المقـال لمحـاتٍ مـن التصـورات، والأفكـار، والأيديولوجيات المذهبية التي ذاعت بين سكان شرق أفريقيا، امتدادًا مـن منـاطق السـاحل الغـربي للبحـر الأحمـر، والقـرن الأفريقـي، وحـتى سـاحل شرق أفريقيـا المعـروف باسـم "بـلاد الزنج" التي كانت مقصدًا للعديد من الهجرات عبر التاريخ خاصة بعد الإسلام حيث وفدت عليها هجرات عربية وإسلامية من شتى البقاع لاسيما من "جزيرة العرب"، ومن فارس، والهند، وغيرها من بلاد جنوب شرق آسيا، ومن ثَمَّ سادت العديدُ من المذاهب الدينية والفكرية في هذه البلاد. وسوف يُركز هذا المقال على المذهبين "الشافعي" و"الإباضي" اللذين كانا لهما تواجدٌ واضحٌ بين غالبية السكان هناك، ومع وجود انحسار واضح للمذهب المالكي عكس ما ذاع في شمال أفريقيا، والسودان الغـربي. وترجـع أهميـةُ المقـال مـن خـلال تنـاول المـذهبين "الشافعي" و"الإباضي" لاسيما مع بروز اختلاف التصور والاتجاه الفكـري الخـاص بهمـا، فـ"المذهب الشـافعي" مـن المـذاهب الإسلامية المُعتبرة التي تميل للوسطية، دون تكلف، أو غُلو، بينما "المذهب الإباضي" يُعد أحد فروع أيديولوجية "الخوارج" بما يحملـه مـن مظـاهر الغلـو الفكـري والـديني. ولعـل مـن أبـرز الدراسات السابقة التي ترتبط بفكرة هذا المقال: عبد الرحمن محمد علي شمس الدين: جهود علماء شرق أفريقيا في خدمة مذهب الإمام الشافعي، مجلة العلماء الأفارقة، مؤسسة محمد السـادس للعلمـاء الأفارقـة، عـددا، اكتـوبر ٢٠١٩م، وهـي دراسـة مهمة، لكنها اقتصرت على الحديث عن جوانب تخص المذهب الشـافعي، ودور علمـاء المـذهب في ذلـك. وكـذلك يـرتبط بتلـك الدراسة: أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن ٦هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨م، لا سيما من خلال الارتباط المذهبي بين شرق أفريقيا وبلاد اليمن، وجزيرة العرب.

أولاً: الخوارج

١/١-أصلهم ونشأتهم وفرقهم

يُطلق اسمُ "الخوارج" على أول الفرق التي ظهرت فيما يبدو في تاريخ الإسلام[١]، ولعل أول ما بدأ من فكر الغُلو والتطرف الذي ارتبط بهم كان في خلافة "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه (٣٥-٤٠هـ)، لما خرجت عليه طائفةٌ يوم "صفين" سنة ٣٧هـ في أيام "الفتنـة الكـبرى" الـتي وقعـت بعـد النـبي (ﷺ)[٢]. إذ اعـترض هؤلاء على "التحكيم" التي وافق عليها الإمام علي بن أبي طالب مـع الفريـق الآخـر الـذي كـان يقـوده الصـحابي "مُعاويـة بـن أبي سفيان"، وقالت الخوارج آنذاك: "لا حُكم إلا لله"[٣]. ولم يكتف "الخوارج" بذلك الموقف، وخروجهم من جيش الإمام علي بن أبي طالب، بل إنهم اتهموه بالكُفر، ثم دبروا قتله على يد أحدهم، ويُدعى "عبد الرحمن بن ملجَم المُرادي"، لما كان الإمامُ علي يُنادي على الناس لصلاة الفجر سنة ٤٠هـ[٤]. وغالى أتباعُ هذه الفرقـة، وكانـت لهـم أفكـارٌ مُتطرفـة، تُغلفهـا عصـبية الفكـر الأُحادي، وبرز ذلك لاسيما من خلال ما يُعرف عنهم بالتزيد في "تكفير من لا يُوافقهم" في أفكارهم، ومنهجهم، وربما يكفي لإدراك ذلك القول بأنهم كفَّروا كبار الصحابة، ومن ثم لم يكن من المُستغرب أن يُخرج العلماءُ من اشتط منهم، وعدوهم من غُلاة الخارجين عن الدين[٥].

وتعـددت فـرقُ "الخـوارج"، وطـوائفهم، وقيـل إنهـم كـانوا يبلغـون قرابـة "عشـرين" فرقـة[٦]، وحـاول الـبعضُ أن يُحصي أعـدادهم، وقـالوا إن أهـم فـرقهم: المُحكِمـة الأُولى، والأزارقـة، والصُـفرية، والعجـاردة، وقـد افـترق منهـا: فـرق الخازميـة، والشـعيبية، والمعلومية، والمجهولية، وأصحاب "طاعة لايُراد اللـه بهـا"، والصـلتية، والأخنسـية، والشـيبية، والشـيبانية، والمعبديـة، والرشـيدية، والمكرميـة، والحمزيـة، والشـمراخية، والإبراهيمية، والواقفة، وكذلك "الإباضية"، وهي من أشهر فرق الخـوارج، وافترقـت الأخـيرةُ (أي: الإباضـية) لفـرقتين: الحفصـية، والحارثية[٧]، ومنها اليزيدية، وهم من الإباضية، والميمونية من "العجاردة"، قال عنهم البغدادي: "فإنهما فرقتان من غُلاة الكُفر الخـارجين عـن فـرق الأُمـة"[٨]. ويـذهب الـبعضُ الآخـر إلى أن "الخوارج" أطلقوا على أنفُسهم تلك التسمية انطلاقًا من الآية: "ربنا أخرِجنا من هذه القَريةِ الظَالِمِ أهلُها"، وهو ما يدلُ في رأي البعض على فكرة أساسية لديهم، وهي اعتزالهم كافة الفرق التي أضرمت نيران الفتنة بين الصحابة[٩]. ويرى الباحثُ أن هذا الرأي لا يتسقُ البتة مع فكر "الخوارج"، إذ إنهم كانوا سببًا رئيسًا في وقـوع "الفتنـة"، وهـم مـن أضـرموا نيرانهـا، وشـقوا صـفوف المسلمين آنذاك.

والـراجح أنهـم دُعـوا بـ"الخوارج" لـدى غالبيـة أهـل الإسـلام، لأنهم خرجوا عن "الملة الوسطية" التي يدعو لها الإسلام بسبب غلوهم[١٠]. وقد اختلف أهلُ العلم فيما يجمع تلك الفرق العديدة من "الخوارج" على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم. فالبعضُ يذكر أن الذي يجمعهم تكفير علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، و"الحكمين"، وأصحاب "يوم الجمل"، كما أنهم كفروا مـن رضي بتحكـيم الحكمـين، وقـالوا بـ"تكفير كـل مـن يرتكـب

الذنوب"، وكذا يدعون الناس لوجوب الخروج على الإمام الجائر[١١]، ومنهم من يُحرم طعام "أهل الكتاب"، ومنهم من "يُوجب القضاء على من نام في نهار رمضان، ثم احتلم في نومه"[١٢]. ومنهم من يزعم أنه "لا صلاةٌ واجبةٌ على المسلم، إلا ركعة واحدة صباحًا، وركعة أُخرى بالعشي"، ومنهم من يرى "أن أداء مناسك الحج يجوز القيام بها في جميع شهور السنة"[١٣]، وزعمت طوائف "أن أهل النار في لذة ونعيم، وكذلك أهل الجنة"[١٤]. ولاريب أن أكثر أفكارهم شاذة، وتحمل الكثير من الزيغ، وتُخالف ما هو معلومٌ من ثوابت الدين. وعلى هذا ضل "الخوارج" في أفكارهم، حتى أُخرج بعضُهم عن الدين بسبب إفراطهم في "الراديكالية" الفكرية، وقالوا أقوالاً تُعارض ما ورد القرآن صراحة[١٥]. ولعل من أكثر ما يعيب فكر "الخوارج" بجانب شططهم، أنهم لا يقبلون بالرأي أو الفكر الآخر، فإما أن تكون معهم، وعلى منهجهم، أو تكون من أهل الكُفر والضلال في زعمهم، وهو تضييق لسعة الإسلام، وتسامحه المعروف مع الآخر، وهو ما أساء لهذا الدين الحنيف بسبب ذلك.

٢/١-فرقة الإباضية

تُعَدّ "الإباضية" من أكثر فرق "الخوارج" انتشارًا في العالم الإسلامي، وكانوا أكثرهم هجرة وتأثيرًا، وأجمع "الإباضية" على القول بإمامة "عبد الله بن إباض"[١٦]، وقد كانت له مكانةٌ كبيرة لديهم، ولهذا حملوا اسمه، وسُموا بـ"الإباضية"، وهو من أتباع "نافع بن الأزرق" (ت: ٦٥هـ/٦٨٥م)، وهذا الأخير كان زعيم فرقة "الأزارقة"، ومن اللافت أن "ابن إباض" كان قد ترك شيخه بسبب غلوه[١٧]. وكان ظهور "ابن إباض" أيام "مروان بن محمد" (ت: ١٣٢هـ) آخر خلفاء بني أمية (٤٠-١٣٢هـ)[١٨]. وافترق "الإباضية" لعدة فرق أُخرى، لكن يجمعهم القول بأن كُفار هذه الأمة، وهم من يخالفهم، برآء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا بمؤمنين ولا مُشركين، ولكنهم كفارٌ، وقد حرموا دماءهم في السر، واستحلوها في العلن، ويزعمون أن هؤلاء "المُخالفين" لهم محاربون لله ورسوله، وأنهم لا يدينون بدين الحق[١٩]. وعن أفكارهم، وغلوهم، يقول ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ): "وشاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس يُحرمون طعام أهل الكتاب، ويُحرمون أكل قضيب التيس، والثور، والكبش، ويُوجبون القضاء على من نام نهارًا في رمضان، ثم احتلم.."[٢٠].

ومع هذا الغلو، يرى البعضُ أن عقيدة "الإباضية" فيها ما يتفق لحد ما مع العقيدة الصحيحة[٢١]. وينسب البعضُ لهم بعض المآثر في تاريخ الإسلام، ومنها القول بأنهم أول من دون "الحديث الشريف"[٢٢]. ولا ينكر أحد دور الخوارج "الإباضية" في نشر الإسلام في شرق وغرب أفريقيا، وهو ما لا يمكن غض الطرف عنه رغم كل شيء. وانقسم "الإباضية" بدورهم لأربع فرق: الحفصية، والحارثية، وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها، واليزيدية[٢٣]. وهذه الأخيرة يجعلها البعضُ من غُلاة الخوارج "لقولهم بنسخ شريعة الإسلام في آخر الزمان"[٢٤]. ولعل ارتباط المذهب الإباضي بأرض عُمان، وانتشاره بكثرة في هذه البلاد[٢٥] ويرجع ذلك إلى أن أحد مؤسسي المذهب، وهو "جابر بن زيد"، المكني بـ"أبي الشعثاء" ولد في "نزوى" بعُمان سنة ٢١هـ/٦٤٢م[٢٦]. وجابر هو معلم "ابن إباض"، وقد اشتُهر "ابن إباض" بإخلاصه في الدفاع عن أفكار وآراء معلمه[٢٧]. وعن العلاقة بين الإباضية وعُمان، يقول القزويني: "عُمان: كورةٌ على ساحل بحر اليمن.. بها اجتماع الخوارج الإباضية في زماننا، وليس بها من غير هذا المذهب إلا غريب، وهم أتباع عبد الله بن إباض"[٢٨]. ورغم ذلك عُرف المذهب بـ"بن إباض"، وليس معلمه. ويحاول البعضُ إظهار "الإباضية" بأنهم الأقرب لأهل السنة من سائر فرق الخوارج، ومن ثم القول بأنهم لا يتهمون المُخالفين بكُفر الملة صراحةً، بل يرونهم كُفارًا بالنعم والأحكام، وينبذون العنف، ولا يبدأون بالعدوان، ولا يستحلون أموال مخالفيهم، ولا قتل ذراريهم[٢٩]. ويُؤمن "الإباضيةُ" بالمبدأ المعروف بـ"التقية الدينية" لتفادي بطش الحُكام، واستبدادهم بهم، وهم يدعون لأفكارهم دون إشارة، ولا رغبة في المواجهة مع الحكام وولاة الأمر، وهم في ذلك الأمر يبدون أكثر حذرًا من غيرهم من فرق "الخوارج"، ومن ثم فلديهم ما يُطلق عليه "إمامة الكِتمان"، وهي فكرةٌ ترتبط بسرية الدعوة لديهم، لأن الجهر بها قد يحمل الكثير من الأخطار على أتباع المذهب، فإذا تمكن لهم الأمرُ، أعلنوا "إمامة الظهور"، ومن ثم يصير إمامُهم معروفًا للكافة، سواءً "الإباضية"، أم غيرهم[٣٠].

ثانيًا: هجرات الإباضية المُبكرة إلى شرق أفريقيا

يبدو أن غلو أكثر فرق "الخوارج" في فكرهم كان سببًا رئيسًا في أن يتعرضوا لبطش الحُكام الذين كانوا يرون فيهم خطرًا داهمًا يُهدد كيان دولة المسلمين، خاصة مع ميلهم لإثارة الفوضى، ورغبتهم دومًا في الخُروج على الحكام، وُولاة الأمر[٣١]. ومن المعلوم أن "الخوارج" كانوا قد أعلنوا بوضوحٍ العداء لحكام "الدولة الأُموية" (٤٠-١٣٢هـ)، واعتبروهم مُغتصبين للسلطة، وأثاروا خلال تلك الحقبة القلاقل والفتن في أطراف دولة الأُمويين[٣٢]، وكانت "عُمان" أحد المواطن الرئيسة لهذا الفكر، إذ اعتنق أكثر السكان أفكارهم[٣٣]. وعلى هذا اشتهر العُمانيون

بـ"الثورات" ضد حُكام بني أمية، واتبعوا ذات النهج ضد بني العباس (١٣٢-٦٥٦هـ)[٣٤]. وهو ما يؤكد أن فكرة التمرد والفوضى ترتبط دومًا بـ"الخوارج"، فالعباسيون كان يختلفون في منهجهم، وفكرهم عن بني أمية، ومع ذلك تعامل "الخوارج" معهما بذات الطريقة، وهي المعارضة.

٢/١-هجرة أُسرة الجَلَندي إلى شرق أفريقيا (٦٥هـ/٦٨٤م)

قام "الإباضية" بالعديد من الثورات وحركات التمرد في العديد من بلاد العالم الإسلامي، سواء في المشرق، أم في بلاد المغرب، وشمال أفريقيا ضد الأُمويين[٣٥]، وكان من أشهر تلك الثورات التي قاموا بها تلك التي كانت ضد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)، وتزعم الثورة سُليمان وأخوه سعيد، وهم من بني عباد الجلندي[٣٦]، وهم من عرب "الأزد" اليمنيين الذين هاجروا لعُمان[٣٧]، ولذا اشتهروا بـ"أزد عمان". ثم أرسل الخليفة جيشًا كبيرًا للقضاء على ثورة الإباضية، وهو ما اضطر أبناء الجلندي للهروب لساحل شرق أفريقيا سنة ٦٥هـ[٣٨]. وتُعد هذه الهجرة من أقدم "الهجرات الإباضية" إلى أفريقيا. ويبدو أن "الجلنديين" كانوا من القوة إذ استطاعوا أن يقيموا دولة إباضية في عُمان سنة ١٣٢هـ[٣٩]، وهي ذات السنة التي سقطت فيها الدولة الأُموية، ثم قامت على أنقاضها الدولة العباسية، ولعل إباضيو عُمان استغلوا تلك الفترة، وما شهدته من عدم الاستقرار. ثم قدمت جماعات بني الجلندي لساحل شرق أفريقيا المعروف بـ"بر الزنج"، أو بلاد الزنج[٤٠] للخلاص بحياتهم، ولا نعلم تحديدًا المكان الذي نزلوا فيه في البداية، لكن يُعتقد أنهم نزلوا في "أرخبيل لامو"، ويقال أيضًا إنهم نزلوا "حدبو" التي أسسها "الإباضية" شمال "ممباسا"[٤١] (كينيا حاليًا). ويُشير البعضُ إلى أن تأسيس "باتة" يرجع لحوالي سنة ٦٩هـ/٦٨٩م[٤٢]. وهو ما يتفقُ مع الهجرات "الإباضية" لهذه البلاد، وهو ما يعني أن استقرارهم في شرق أفريقيا يؤرخ للنصف الثاني من القرن الأول الهجري (٧م). ولنكن أكثر إنصافًا، فلا سبيل لإنكار دور هؤلاء "الجلنديين" الإباضية في نشر الإسلام في شرق أفريقيا منذ القرون الهجرية الأُولى[٤٣]. وجدير بالذكر أن "العُمانيين" كانوا من أكثر الجماعات العربية التي لعبت دورًا في تجارة المحيط الهندي، وازدهار التجارة بين "جزيرة العرب" و"شرق أفريقيا"، كما قاموا بالوساطة التجارية بين شرق أفريقيا، وأسواق جنوب شرق آسيا[٤٤]. ويؤيد ذلك أن أحد الأساطيل التي خرجت من موانئ عُمان، ثم اتجهت إلى شرق أفريقيا، وكان أسطولاً كبيرًا جدًا، إذ بلغت عدد السفن به نحو ألف سفينة[٤٥]. ورغم أن تلك الإشارة ربما تحملُ بعض المبالغة، إلا أنها تؤكد في ذات الآن قوة النشاط التُجاري الذي قام به العُمانيون في ساحل أفريقيا الشرقي. ولاريب أن وجود أُسر عربية حاكمة في ممالك الساحل الأفريقي الشرقي خاصة من جانب جماعات من "الإباضية" ساهم لحد كبير في تنشيط الحركة التجارية في هذه البلاد[٤٦].

وأدى التواجد العربي وخاصة من جانب "العُمانيين" لحدوث اختلاط، وتصاهر، وكذا امتزاج حضاري وثقافي بين الشعوب والقبائل المحلية التي تقطن ساحل شرق أفريقيا من ناحية، والمهاجرين العُمانيين، وغيرهم من التُجار العرب والمسلمين من ناحية أخرى، كما أدى ذلك لظهور أنماط ثقافية وفكرية تُعبر عن ذلك المزيج الفكري والإثني الذي يجمع بين الثقافتين: الأفريقية المحلية والعربية الإسلامية الوافدة، وهما نمطان ثقافيان لهما أصولٌ وروافد فكرية متنوعة، وهو ما يبدو واضحًا فيما يُعرف بـ"الثقافة السواحلية"[٤٧]. كما ظهرت "اللغة السواحلية" نتيجة لذلك التلاقح والامتزاج الحضاري بين هاتين الثقافتين، وكانت هذه اللغة تُكتب بالحروف العربية، كما دخلتها العديد من الألفاظ العربية، وهذه اللغة ما تزال حتى الآن لغة أكثر الشعوب التي تقطن ساحل شرق أفريقيا[٤٨].

٢/٢-هجرة النبهانيين الإباضية إلى شرق أفريقيا

هاجرت جماعاتٌ عربية بزعامة الملك النبهاني "سليمان بن سليمان بن مظفر" بعد سقوط "الدولة النبهانية" في عُمان حوالي سنة ٦٠١هـ، وكان مقصدهم "جزيرة باتة" على ساحل شرق أفريقيا، فلما وصلوا هناك، وجدوا بها خليطًا بشريًا ومذهبيًا من المسلمين، وغيرهم بالطبع، لاسيما من جانب العرب والفرس الذين سبقوهم في الهجرة لتلك المنطقة[٤٩]. ويبدو أن ملك "النبهانيين" كان يتمتع بشخصية آثرة، حيث استقبله العرب من قاطني تلك البلاد بحفاوة، واحترام يليق به، خاصة وأن أكثرهم كانوا من ذوي الأصل العُماني. ثم تزوج الملكُ "النبهاني" من ابنة حاكم هذه الجزيرة، واسمه: "إسحاق"، ثم تنازل الحاكم الأفريقي بعد ذلك عن العرش للنبهانيين، وعلى هذا تأسست "الأُسرة النبهانية" في شرق أفريقيا التي امتد نفوذها لأجزاء كبيرة من سواحل شرق أفريقيا، وقد دام ملكهم هناك حتى القرن ١٣هـ/١٩م[٥٠]. وكان ملك "النبهانيين" في عُمان إبان زيارة ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ) منتصف القرن ٨هـ/١٤م، يُدعى "أبا محمد بن نبهان"، وهو ملكٌ ينتسب لقبيلة الأزد[٥١]. وعلى أية حال كان أهل قلهات، وهم من إباضي عُمان آنذاك يدينون بالولاء والطاعة لـ"ملك هُرمز"، أي أنهم لم يكونوا يتمتعون بالاستقلال التام في حكم أنفسهم حسب رواية ابن

بطوطة، ورغم أنهم من طوائف "الخوارج" المعروفين، "لكنهم لا يقدرون على إظهار مذهبهم، لأنهم تحت طاعة ملك هرمز"[٥٢].

٣/٢-الإباضية البُوسعَيدية واليعَاربة في شرق أفريقيا

وفدت العديدُ من الهجرات "الإباضية" العُمانية الأخرى مثل "البوسعيد" و"اليعاربة"، وهؤلاء المهاجرون قدموا إلى شرق أفريقيا، وساهموا بدورهم في إضافة العديد من التأثيرات الفكرية، والثقافية، وكذلك الحضارية في هذه البلاد التي هاجروا إليها، ويأتي في مقدمتها دور تلك الجماعات في نشر الإسلام، وكذلك التقاليد والثقافة العربية بين السكان المحليين في شرق أفريقيا[٥٣]. كما أنهم لعبوا دورًا مهمًا في صد الهجمات العدائية التي قام بها المستعمرون البرتغاليون على سواحل شرق أفريقيا والتي كان يُغلفها التعصب المسيحي بشكلٍ واضح في ذلك الوقت. وعلى هذا كان دور اليعاربة والبوسعيديين في شرق أفريقيا لاسيما على ساحل تنزانيا وزنجبار مهمًا في التأصيل الحضاري، وتأكيد الوجود العربي، والثقافة العربية، وكذلك تأكيد الوجود الفكري الخاص بـ"المذهب الإباضي" في هذه البلاد، والذي صار آنذاك في رأي الباحث أقل راديكالية وعدائية، مقارنةً بحال الإباضيين إبان الحقب الأخرى الغابرة.

ثالثًا: المذهب الشافعي في شرق أفريقيا

يُنسب "المذهب الشافعي" إلى الإمام: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (الشافعي) (١٥٠-٢٠٤هـ)[٥٤]، المولود في غزة سنة ١٥٠هـ، وتوفي الشافعيُ بالقاهرة سنة ٢٠٤هـ[٥٥]. وقد حفظ الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ثم قرأ الموطأ على الإمام مالك (٩٣-١٧٩هـ) بالمدينة في العاشرة من عمره[٥٦]. ثم استقر في "بغداد"، وزار قبر "أبي حنيفة" (٨٠-١٥٠هـ)، وطاف الشافعي بالكثير من بلاد الإسلام لنشر العلم، ثم طاب له المُقام بمصر في آخر المطاف[٥٧]، حيث قدم الشافعي سنة ١٩٩هـ، وأقام بالقاهرة خلال المرحلة الأخيرة من حياته، وبقي بها حتى وفاته (٢٠٤هـ)، ثم دفن بالفسطاط[٥٨]، وقبر الشافعي معروف، والزيارة إليه تكاد لا تنقطع[٥٩]. وكان منهج الإمام الشافعي يقوم في الأساس على فكرة الاعتدال والوسطية في الدين، وكان منهجًا بعيدًا كل البعد عن التشدد، والغلو، ولهذا يقول: "إذا صح الحديثُ، فهو مذهبي.."[٦٠]. وقد أثنى العلماء على الإمام الشافعي، وفكره، ومنهجه في الفقه، حتى قال أحدهم: "ما رأيتُ مثل الشافعي، ولا رأى هو مثل نفسه.."[٦١]. ويُعتبر الشافعي أول من ألف في أصول الفقه، وفي أصول الحديث، وأول من ألف في أحكام القرآن[٦٢]. ويذكر الرازي أنهم كانوا قبل الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون، ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانونٌ كُلي مرجوع إليه في معرفة أدلة الشريعة، فاستنبط الشافعيُ علم أصول الفقه[٦٣].

١/٣-قُدوم المذهب الشافعي إلى شرق أفريقيا

كتب الله لفقه الشافعي، ومذهبه، أن ينتشر في شتى بلاد العالم الإسلامي لاسيما شرق أفريقيا، حيث انتشر "المذهب الشافعي" في العديد من المدن هناك، وصارت لهذا المذهب فيما يبدو في المصادر السيادة المذهبية في العديد من بقاع هذه البلاد على باقي المذاهب الأخرى[٦٤]. وربما كان من أسباب ذلك الوجود الواسع لـ"مذهب الشافعي" في شرق أفريقيا بفضل انتشاره في بلاد اليمن، وقد كان انتشار مذهبه هناك مرتبطًا فيما يبدو بقدوم الشافعي ذاته لهذه البلاد، حيث تبعه الكثيرون من أهل اليمن[٦٥]. ومن المعلوم أن اليمن كانت أكثر البلاد تأثيرًا مذهبيًا ودينيًا لاسيما في بلاد القرن الأفريقي، وأسهمت اليمنيون أكثر من غيرهم في انتشار الإسلام في هذه البلاد[٦٦]. وحسب ابن بطوطة، ساد مذهب الشافعي خلال القرن ٨هـ/١٤م في العديد من بلاد شرق أفريقيا، إذ كان المذهب منتشرًا في مقدشو، وكلوة، وممباسا[٦٧]، وغيرها من ممالك شرق أفريقيا[٦٨]. كما انتشر المذهب في بلاد الزيلع[٦٩] التي تُعد من أهم المناطق التي استقر بها هذا المذهب في شرق أفريقيا[٧٠]. وكانت غالبية السكان في تلك البلاد على المذهبين الحنفي والشافعي أكثر من غيرهما[٧١]. بينما كان مذهبُ مالك يكاد لا يكون له تواجد بشكل واضح مقارنة بحاله في شمال أفريقيا، وفي بلاد السودان الغربي والأوسط.

٢/٣-المذهب الشافعي في سودان وادي النيل

كان لمذهب الشافعي وجود ملحوظ في حوض النيل الأوسط، ويُقصد به أقاليم السودان الحالي، أو ما يُعرف بـ"سودان وادي النيل"، كما ذاع على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، حيث مال إليه سكان "سواكن"[٧٢]، وانتشر في "طوكر" شرق السودان، وربما يرجع ذلك بفضل الصلات التي جمعت بين سكان هذه المناطق التجارية مع جزيرة العرب. كما انتشر المذهب أيضًا في "مملكة الفونج"، أو "السلطنة السنارية" التي تأسست مع بدايات القرن ١٠هـ/١٦م بعد سقوط "مملكة عُلوة"[٧٣]. وقد انتشر المذهب الشافعي فيما يبدو على يد الشيخ "محمد بن قرم"، وهو الفقيه الشافعي المعروف الذي درس على يد "الخطيب الشربيني" (ت: ١٥٦٩/١٥٧٠م)، ثم جاء هذه الفقيه إلى سودان وادي النيل عام ١٥٦٣م، وبعد أن طاف بالكثير من البلاد استقر في "بربر"، وقام بنشر مذهب الشافعي هناك، وقد كان من تلاميذه: الشيخ "عبد الله العركي"، والفقيه

ابـراهيم الفـرضي، وكـذلك القـاضي الشـافعي المعـروف "دشين"[٧٤].

ويُشير البعضُ إلى أنه ربما وقعت بشكل أو بآخر بوادرٌ من التنـافس المـذهبي بـين أتبـاع كـل مـن "مـذهب الشـافعي" و"مذهب مالك" في سودان وادي النيل، وكانت الغلبة لـلمذهب المالكي، ويبدو أن سبب ذلك يرجعُ إلى أن أكثر المُهاجرين إلى سـودان وادي النيـل كـانوا مـن القبائـل والبطـون العربيـة الـتي وفـدت مـن صـعيد مصـر، وكـان تـأثير "المـذهب المـالكي" هنـاك أقـوى مـن مـذهب الشـافعي[٧٥]. ورغـم ذلـك بقـي لـ"مذهب الشـافعي" وجـودٌ ملحـوظٌ في بعـض أقـاليم سـودان وادي النيـل بصفة عامة، كما أن بعض المدن صار فيها "المذهب الشافعي" أقوى بشكلٍ واضح من المذاهب الأخرى لاسيما في سواكن، وطوكر، وحلفاية الملوك، وربما أربجي، وكذلك منطقة الجزيرة فيما بين النيلين الأزرق والأبيض[٧٦]. ولعل من الأدلة على ذلك، يقول "ود ضيف الله": "ثم قدم الشيخ محمد بن قرم بدار بربر، وأدخـل فيهـا مـذهب الشـافعي، وانتشر مذهبه في الجزيرة، ثم قـدمت المشـايخة، وحطـت مدينـة الحلفايـة.."[٧٧]. وتشـير هـذه الرواية أيضًا لقوة مذهب الشافعي، وانتشاره في هذه البلاد. كما كـان للشـافعية قـاضٍ في سـودان وادي النيـل، وكـان مـن أشهرهم "القـاضي دشـين"، وهـو القـاضي الشـافعي المعـروف، وكان يشتهر بين الناس بلقب "قاضي العدالة"[٧٨]، وهو المولود بمدينة "أربجي"[٧٩]، وهي المدينة التي أقامها العرب في "مملكة عُلوة" قبل سقوطها مع بدايات القرن ١٠هـ/١٦م[٨٠]. وعـن انتشار "المذهب الشافعي" والمنافسة مع غيره من المذاهب الأخرى، في منـاطق سـودان وادي النيـل، يشـير الـدكتور يوسـف فضـل حسن إلى أنه المذهب الشافعي دخل السودان على يد الشيخ محمد بن علي بن قرم الشافعي المصري الذي زار كلًا من: سنار، وأربجي، وبربر، ثم اتخذ من الأخيرة مقامًا له، ومنها نشر بعض تلاميذه "المذهب الشافعي"، وإن لم يصيروا جميعًا من أتباع المـذهب، ومـن ثـم وقعـت نـوع مـن المنافسـة المذهبيـة بـين المذهبين الشافعي والمالكي، ثم انتهت بانتصار المالكية، ورغم ذلك ظلت منطقتا "سواكن" و"طوكر" على المذهب الشافعي حتى يومنا هذا[٨١]. وعلى أية حال نالت كُتب الشافعي، وكذلك الكتـب الـتي علـق فيهـا العلمـاء، وعملـوا شروحًـا لمصـنفات الشافعي في هذه البلاد، ومن أهم الكتب الشافعية التي راجت خـلال عصـر مملكـة الفـونج: "منهـاج الطـالبين"، وهـو مـن أهـم المصنفات في الفقه الشافعي" صنفه الإمام "النووي"، وكذلك ذاع كتاب "منهج الطُلاب" الذي ألفه زكريا بن محمد الأنصاري. إلخ، وغير ذلك من أمهات كتب الفقه الشافعي[٨٢].

٣/٣-ملامحٌ من انتشار المذهب الشافعي في ساحل شرق أفريقيا

يجدُر القولُ من جانب آخر إن مذهب الشافعي انتشر بشكلٍ قوي في العديد من بلاد شرق أفريقيا، لاسيما المناطق التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر، وكذلك على سواحل شرق أفريقيا التي تطل على "المحيط الهندي". ولاريب أن مذهب الشافعي وجد في تلك البلاد بيئةً ملائمة لأتباعه، واتجاهاتهم الفكرية، والدينية، وهي التي سار عليه الإمام الشافعي في فهمه للدين، وطريقته في الفقه. ومن الواضح أن انتشار المذهب في شرق أفريقيا يرجع بشكل لاريب فيه من خلال الصلات التي جمعت بين السكان والشعوب القاطنة في هذه البلاد من ناحية، وسكان اليمن وجزيرة العرب من ناحية أخرى، فلا شك أن التأثيرات الفكرية الوافدة إلى سواحل شرق أفريقيا كانت في المقام الأول بفضل ذلك التجاور الجغرافي مع بلاد الحجاز، واليمن، وهو ما سهل بدوره انتقال العديد من التأثيرات الفكرية والمذهبية بين الطرفين[٨٣]. كما كان أحد روافد هذه التأثيرات الفكرية والمذهبية من ناحية أخرى بفضل التأثيرات الوافدة من مصر التي ساهمت بدورها في انتشار مذهب الشافعي، ثم انتقلت تلك التأثيرات بدورها إلى العديد من مناطق شرق أفريقيا، وكان ذيوع ذلك التأثير المذهبي على الراجح عبر مناطق سودان وادي النيل والتي كان لها دور لا يُمكن إنكاره في انتشار "مذهب الشافعي إلى بلاد شرق أفريقيا، وسواحل المحيط الهندي الأفريقية، حيث قدم لتلك البلاد العديد من علماء وفقهاء الأزهر، وكان منهم بالطبع فقهاء المذهب الشافعي، الذين عملوا على نشر هذا المذهب، ومن ثم انتقل تأثير علماء الشافعية بعد ذلك إلى بعض المناطق الجنوبية والشرقية، وكان من بينها بالطبع العديد من مناطق شرق أفريقيا[٨٤]. ولعل من أدلة ذلك أن المؤرخ العُمري (ت: ٧٤٩هـ) يشير لانتشار مذهب الشافعي في شرق أفريقيا، ومن تلك البلاد التي ذاع فيها "مملكة أوفات"، وهي أكبر ممالك الزيلع[٨٥]. وعن ذلك يقول: "وهي (أي أوفات) أقرب أخواتها إلى الديار المصرية.. وملكها يحكم على الزيلع..وهو في وقتنا اليوم شافعي المذهب، وغالبها شافعية.."[٨٦].

وربما يُفهم من كلام العُمري أن أكثر بلاد الزيلع ربما كانوا شافعية المذهب في أيامه، وقد كان الملك في أقوى وأكبر تلك الممالك (الزيلع) في زمانه شافعي المذهب، وكذلك كان على

دربه غالبية السكان في بلاده. ويؤيد ذلك الطرح بأن البعض يشير من ناحية أُخرى إلى أن مذهب الشافعي كان هو السائد في بلاد القرن الأفريقي منذ حوالي القرن ٧هـ[٨٧]. وعن انتشار هذا المذهب في القرن الأفريقي، يشير البعض، ومنهم الدكتور عبد الرحمن شمس الدين، إلى أن هذا المذهب انتشر، وتوسع نطاقه بفضل المراكز الدينية التي كانت موجودة في هذه البلاد، وعلى هذا تميزت تلك البلاد بالتوسع في قراءة المصنفات والشروح الفقهية على مذهب الشافعي[٨٨]. كما ذاعت مصنفات الإمام الشافعي، وشروحها، في بلاد القرن الأفريقي، ومنها: "سفينة النجاة"، و"متن أبي شجاع"، و"حاشية الباجوري"، وكتاب "الاقناع"، و"منهاج النووي"، و"عُمدة السالك"، وغيرها من أمهات كتب الفقه الشافعي[٨٩]. وتعد رواية "ابن بطوطة" (ت: ٧٧٩هـ) من أهم المصادر التي أشارت لانتشار مذهب الشافعي في العديد من الدول والممالك على ساحل شرق أفريقيا. وإذا حاولنا تتبع رواياته في هذا الصدد، فأول تلك الإشارات كانت لما زار "زيلع"، حيث أشار إلى أنها "مدينة البرابرة"، ثم قال: "وهم طائفةٌ من السودان، شافعية المذهب.."[٩٠]. كما يُشير ابن بطوطة في ذات الوقت لوجود مذهب الرافضة هناك أيضًا[٩١]، وربما يقصد بالرافضة وجود طوائف من الخوارج والشيعة في هذه البلاد. ولاريب أن "مذهب الرافضة"، يُقصد به بصفة عامة غُلاة الشيعة، وهم الذين يمكن المقارنة بينهم وبين طوائف "الخوارج" فيما يرتبط بالغلو الديني، والراديكالية المذهبية. ولعل وجود غالبية شافعية هناك، مع وجود بعض غلاة الرافضة يشير لتسامح الغالبية الشافعية مع غيرهم من ذوي المذاهب الأخرى، وهي سمةٌ واضحة من سمات المذهب. وتؤكد المصادر أيضًا ذات الذي أشار إليه ابن بطوطة، فالمقريزي (ت: ٨٤٥هـ) يذكر أن غالبية السكان في "مملكة أوفات" من بلاد الزيلع كانوا على مذهب الشافعي[٩٢]. هذا إلى جانب إشارة المقريزي الأخرى فيما يخص وجود أعداد ممن ينتمون للمذهب الحنفي هناك[٩٣]. وهو ذات الأمر الذي أشار إليه العُمري (ت: ٧٤٩هـ)، والقلقشندي (ت: ٨٢١هـ)[٩٤] أيضًا حول انتشار مذهب الشافعي في أوفات، ومن المعلوم أن رواية العمري أقدم من رواية ابن بطوطة، والقلقشندي، والمقريزي، ولكن جميعهم يؤكدون انتشار المذهب الشافعي في هذه البلاد[٩٥]. وعن سكان أوفات، يقول المقريزي: "وغالب أهلها شافعية المذهب، وكثر فيهم بعهدنا الحنفية، وكلام أهلها باللغة الحبشية، ويتكلمون أيضا بالعربية.."[٩٦].

ولعل انتشار مذهب الشافعي في "مملكة أوفات" يؤكد الوجود القوي له في باقي الممالك في بلاد الزيلع جنبًا إلى جنب مع المذهب الحنفي. ويرى الباحث أن التقارب الجغرافي بين اليمن ومملكة أوفات، وباقي بلاد الزيلع كان من أسباب انتشار مذهب الشافعي في هذه البلاد، يقول القلقشندي: "إن بينها (أي: أوفات) وبين عدن من اليمن في البحر ثلاث مجار.."[٩٧]. كما يذكر المقريزي أن سكان "مملكة دوارو"، وهي الأخرى من ممالك الزيلع"، أنهم كانوا من أتباع "المذهب الحنفي"[٩٨]. وهذا يشير بشكل أو بآخر لوجود ملحوظ لأتباع "المذهب الحنفي" في عدد من مناطق شرق أفريقيا. ومن اللافت أنه لما ذهب "ابن بطوطة" إلى "سلطنة مقدشو"، غير أنه لم يخبرنا بالمذهب السائد لدى أهل تلك البلاد بشكل صريح، لكن الراجح أن سكانها كانوا شافعية المذهب أيضًا، لأن أكثر البلاد من حولها كانوا على هذا المذهب. ثم سافر ابن بطوطة بعد ذلك إلى "مملكة كلوة" (أو كلوا)، وهي من بلاد الزنج، ثم الى "جزيرة منبسى" (ممباسا)[٩٩]، والتي أشار إليها أيضا بأنها مدينة كبيرة، بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر، ثم يقول عن مذهب سكان تلك البلاد بأنهم شافعية المذهب، كما ينعته بأنهم "أهل دين وعفاف.."[١٠٠]، وهو إشارة لاعتدال دينهم، ومذهبهم، وأنهم ليسوا من الغلاة. ثم أفاض "ابن بطوطة" في الحديث عن دين أهل تلك المملكة المسلمة، حيث يشير الى أن مساجدهم كانت مقامة من الخشب، كما أنها كانت مشيدة بطريقة متقنة، ويوجد عند باب كل مسجد هناك آبار للمياه، يبلغ عمق بعضها من ذراع الى ذراعين[١٠١]. ثم يصل ابن بطوطة لـ"كلوة"، ويذكر أنها من أحسن المدن، ثم يذكر أن أهل تلك البلاد هم أهل جهاد في سبيل الله، لأنهم يجاورون قبائل من الوثنيين الزنوج، ثم يمتدح ابن بطوطة أهل تلك البلاد، ومذهبهم، حيث يقول: "والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب.."[١٠٢].

ولعل هذا يُشير إلى حسن عقيدة أصحاب "المذهب الشافعي"، فهم أخف حدة من أتباع المذهب المالكي المشهورين بحماستهم لمذهبهم، وربما لحد الإفراط في ذلك، فغالبية الشافعية في شرق أفريقيا كانوا يتسمون بالتقوى والصلاح، ولا يبدو في مذهبهم شيء من القوة أو العنف على غرار بعض المذاهب الأخرى. وتؤكد رواية ابن بطوطة مرة أخرى انتشار "المذهب الشافعي" في العديد من ممالك شرق أفريقيا، وأنه كما هو واضح المذهب السائد بين أكثر السكان والشعوب في تلك البلاد، بينما لم يشر بشكل واضح لوجود أي

من المذاهب الأخرى، سوى المذهب الحنفي الذي ينتشر في بعض مناطق الزيلع. ويمكن القول إنه رغم مرور الزمن، فلايزال مذهب الشافعي هو السائد في العديد من بلدان شرق أفريقيا، ولعل من دلائل ذلك أن أكثر المسلمين في بلاد الحبشة هم من السنة، وهم على "المذهب الشافعي" مع وجود قلة من أتباع كلٍ من "المذهب المالكي" من جانب، و"مذهب الأحناف" من جانب آخر[١٠٣].

خَاتِمَةٌ

وبعد هذه الاطلالة التاريخية الموجزة على المذهبين الإباضي والشافعي في شرق أفريقيا، وتأثيراتهما في هذه البلاد، يمكن أن نخرج ببعض الاستنتاجات، ولعل منها:

- يُعَدّ "المذهب الإباضي" أحد أقدم مذاهب "الخوارج"، وهو المذهب هو الذي لعب دورًا سلبيًا في شق صف وحدة المسلمين خلال القرون الأولى للإسلام، حيث ساهمت فرق الخوارج الى تأجيج الفتن، والصراعات منذ أواخر خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ)، وساهموا في قتل الخليفة الثالث (أي عثمان)، ثم أشعلوا أتون الفتن أيام خلافة على بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ)، ثم تسببوا في قتله، وكان ذلك على يد أحد أتباع مذهب الخوارج.
- أشارت هذه الدراسةُ إلى أن المذهب الشافعي كان الأكثر انتشارًا بين كل مذاهب أهل السنة في بلاد شرق أفريقيا جنوبي البحر الأحمر، وفي أكثر الممالك والإمارات الأفريقية الواقعة على المحيط الهندي بصفة عامة، مع وجود قوي في ذات الوقت لمذهب الأحناف لاسيما في بلاد الزيلع، ووجود قوي للمذهب المالكي في السودان الشرقي (أي: سودان وادي النيل).
- أكدت الدراسةُ أن أتباع المذهب الشافعي كانوا من أصحاب المناهج الدينية المعتدلة، وهم أصحاب المذهب الوسطي، وهم أصحاب منهج ومذهب معتدل بصفة عامة، وأن العديد من المصادر التاريخية أثنت عليهم، وعلى حسن دينهم، وصلاحهم، واحترامهم للآخر.
- بينت الدراسةُ أن الشافعية أظهروا تسامحًا ملحوظًا مع أصحاب المذاهب الأخرى في مناطق شرق أفريقيا، ولاسيما في المناطق التي كان يكثر فيها أصحاب المذهب الشافعي.
- على الرغم من أن الإشارات التاريخية الواردة في المصادر لا تتحدث بشكل واضح عن حدوث صراع مباشر بين المذهبين الشافعي والإباضي في شرق أفريقيا، إلا أن وجود المذهبين أكثر من غيرهما من المذاهب الأخر هناك، بجانب وجود المذهب الحنفي، مع وجود الخلافات الفكرية والدينية التي لا تخفى على أحد بين أفكار كل منهما، ربما يؤيد ذلك فكرة وجود التنافس بشكلٍ أو بآخر بين أتباع المذهبين، حتى وإن لم تذكر المصادرُ شيئًا عن ذلك، لاسيما مع قيام بعض الممالك الإسلامية على مذهب السنة، وكانت على "مذهب الشافعي"، وتحملت مكابدة نشره في هذه المنطقة، إضافة لوجود ممالك أخرى إباضية في هذه المنطقة أيضًا.
- أشارت الدراسةُ لوجود نوع من المنافسة بين المذهبين الشافعي والمالكي في مناطق سودان وادي النيل (أي السودان الشرقي)، وإن كانت منافسة هادئة لم تأخذ شكلاً من أشكال العنف الديني مطلقًا، ولكن بدت فيها قوة أتباع مذهب مالك، وانتشارهم في هذه البلاد.

الاحالات المرجعية:

(١) للمزيد عن الخوارج وأفكارهم، انظر ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، جـ٣، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٧، وانظر كذلك أيضًا عبد القادر البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٠٨، محمد الطيب النجار: **تاريخ العالم الإسلامي**، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٥٢-٥٣، هـ. أ. جب وجـ. هـ. كالمرز: **الموسوعة الإسلامية (الميسرة)**، ترجمة: راشد البدراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٣٥٥.

(٢) المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، جـ٢ المكتبة التوفيقية، ص٣٧٣، ابن طباطبا: **الفخري في الآداب السلطانية**، ص٨٣، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جـ٣، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص١٨٧.

(٣) للمزيد عن القصة التاريخية لرفع المصاحف في يوم صفين سنة ٣٧هـ، ثم التحكيم بين الفريقين اللذين كانا يقودهما علي بن أبي طالب وهم أهل العرق، وفريق معاوية وهم أهل الشام انظر ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ٧، تحقيق: أحمد أبوملحم (وآخرين)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ص٢٨٧.

(٤) ابن طباطبا: **الفخري**: ص٨٣، وكان "الخوارج" قد دبروا قتل كل من علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، إذ إنهم اعتبروا الثلاثة رُؤوس الفتنة، وأئمة الضلال حسب زعمهم، وقالوا: فلو شرينا أنفسنا، فأتينا أئمة الضلال، فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، ثم قال ابنُ ملجم: "أنا أكفيكم علي بن أبي طالب" (وكان من أهل مصر)، وقال "برك بن عبدالله": "أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان"، وقال ثالث (وهو عمرو بن بكر): "أنا أكفيكم عمرو بن العاص"، ومن ثم تعاهد هؤلاء الثلاثة، وتواثقوا بالله ألا ينكص أحد منهم عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله، أو يموت دونه، فاتخذوا أسيافهم، سموها (انظر، الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، جـ٣، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص١٧٥-١٧٦).

(٥) البُغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص٨١. وعن مصطلح "الخوارج"، يقول محمود إسماعيل: "أما مصطلح الخوارج، فقد اختلفت الآراءُ حول أسباب صياغته، وفي كل الأحوال تظهر بوضوح تأثيرات الأيديولوجيا.. وبعد انشقاقات الخوارج على أنفسهم إلى فرق متعددة، نسبت هذه الفرق تسمياتها إلى زعاماتها.." (محمود إسماعيل: **دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي**، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٠٣).

(٦) البغدادي: المصدر السابق، ص٨١.

(٧) المصدر السابق، ص٨١.

(٨) البغدادي: المصدر السابق، ص٨١.

(٩) محمود إسماعيل: **دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي**، ص١٠٣.

(١٠) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص١٠٣.

(١١) البغدادي: المصدر السابق، ص٨١.

(١٢) ابن حزم: **الفصل في الملل والنحل**، جـ٣، ص١٢٧.

(١٣) المصدر السابق، ص١٢٧–١٢٨.

(١٤) المصدر السابق، ص١٢٨.

(١٥) ولعل تكفير الخوارج لبعض كبار الصحابة من أذم ما أتوا به واجتمعوا عليه من الضلال، ولهذا يقول الامام الطحاوي: "نُحب أصحاب رسول الله (ﷺ)، ولا نُفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغُض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم...وحُبهم دين، وإيمان، وإحسان، وبُغضُهم كفرٌ ونفاق وطغيان.." (ابن أبي العز: **شرح العقيدة الطحاوية**، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص٤٠١.

(١٦) البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص١٠٨، مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣٥.

(١٧) عبد الرحمن سالم: **الإباضية**، ص١٨.

(١٨) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥٦-٥٧.

(١٩) البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص١٠٨-١٠٩.

(٢٠) ابن حزم: **الفصل**، جـ٣، ص١٢٧.

(٢١) وللمزيد عن الاباضية، العُمري: **مسالك الأبصار (المختصر)**، جـ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٢٦، القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ١٣، ص٢٢٥، مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، ص١٣٦.

(٢٢) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص١٣٦، وهذا القول فيه شك كبير إن لم يكن خطأ من الأصل، فالمعروف أن أول من دون الحديث كانوا الصحابة، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يدون الحديث، وكانت له صحيفة يدون فيها ما يسمعه من كلام النبي (ﷺ)، وكانت تدعى "الصادقة" (وللمزيد عن صحيفة "الصادقة" لعبد الله بن عمرو، انظر ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، جـ٣، ص٥٣٠).

(٢٣) البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ص١٠٩.

(٢٤) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٢٥) عُمان: يقال حسب ما ورد في بعض الروايات إن اسم "عُمان" في الأصل نسبة لشخص كان يدعى (عمان)، ويزعمون أنه من بن بغان بن إبراهيم عليه السلام (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٦). وهو قول ضعيف، فالنبي إبراهيم عليه السلام لم يكن له ولد باسم (بغان)، ولا ورد شيء عن ذلك لا في الكتب السماوية الثلاثة، ولا في المصادر التاريخية المعتبرة.

(٢٦) عبد الرحمن بن سالم: الإباضية (**موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الاسلامي**)، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٥، ويبلغ تعداد الاباضية منذ أواخر القرن ٢٠م حوالي ثلاثة أرباع سكان عمان (**تاريخ الدولة الاسلامية** (تأليف نخبة من العلماء): جـ٢، الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية، ٢٠٠٩م، ص٢٠٤).

(٢٧) عبد الرحمن بن سالم: **الإباضية**، ص١٨–١٩.

(٢٨) القزويني: **أخبار البلاد**، ص٥٦.

(٢٩) عبد الرحمن بن سالم: **الإباضية**، ص١٩.

(٣٠) يتفق الخوارج مع جمهور المسلمين بوجوب نصب الامام ليطبق شرع الله في الأرض، وهم لا يقولون بوجوب الخروج على الحاكم الظالم كما يرى سائر الخوارج، والغالب لديهم إعلان البراءة منه، والإباضية لا يشترط ونكون الإمام أم الحاكم قرشي وغير ذلك (عبد الرحمن سالم: **الاباضية**، ص٢٠–٢٢).

(٣١) هـ. جب: **الموسوعة الاسلامية**، ص٣٥٦–٣٥٧، جولد تسهير: **العقيدة والشريعة في الاسلام**، ترجمة: محمد يوسف موسى (وآخرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٩٢-١٩٣.

(٣٢) جولد تسهير: المرجع السابق، ص١٩٢.

(٣٣) محمد عبد الله النقيرة: **انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا**، دار المريخ، الرياض، د. ت، ص٨٤.

(٣٤) النقيرة: المرجع السابق، ص٨٤، يشير جب الى أن أكثر ثورات الخوارج خطرًا على الأمويين تلك التي تزعمها نافع بن الأزرق، وهي التي جعلت للخوارج سيطرة مؤقتة على فارس وكرمان، وغيرهما من الولايات الشرقية وشكلت تهديدًا للأمويين والآراضي التابعة لهم (جب: **الموسوعة الاسلامية**، جـ١، ص٣٥٧).

(٣٥) جب: المرجع السابق، ص٣٥٧، جولد تسهير: ص١٩٢، النقيرة: المرجع السابق، ص٨٥. وللمزيد عن هجرة بني الجلندي، انظر حجاجي إبراهيم: **العمارة الإسلامية في شرق أفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤١. ومن المعلوم أن الإباضية لعبوا دورًا مهما في السودان الغربي وشمال أفريقيا، حيث ساهموا في تأسيس دول قامت على قاعدة المذهب الإباضي، ومنها "الدولة الرستمية" في تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر)، كما ساهم الإباضية هناك في ازدهار الحركة التجارية الصحراوية، وكذلك ساهموا في نشر الدعوة الإسلامية التي ارتبطت بالحركة التجارية (حسين سيد عبد الله مراد: صنغي، **ضمن كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي**، جـ٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٢٠٣).

(٣٦) محمد عبد الله النقيرة: المرجع السابق، ص٨٥.

(٣٧) **قبيلة الأزد**: تذكر المصادر العربية أن الأزد من ولد الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان، ومن قبائلهم الغساسنة ملوك بلاد الشام، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد، ومنهم الأوس والخزرج أهل يثرب، وهم الأنصار رضي الله عنهم، ومن الأزد خزاعة، وبارق ودوس.. إلخ (وللمزيد عن قبيلة أزد عمان، وأنسابهم، وبطونهم، انظر العمري: قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين (**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**)، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥م، ص٧٧). وقيل: هم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٣٣٤. ويوجد بطنٌ آخر باسم "الأزد" وهم منسوبون إلى الأزد بن عمران بن عمرو بن عامر، كما يوجد أزديون آخرون ينتسبون إلى أزد الحجر، ومنهم الإمام أبو جعفر الطحاوي الأزدي (انظر ابن القيسراني: **كتاب الأنساب المتفقة**، تحقيق: لجنة من المحققين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٦).

(٣٨) محمد عبد الله النقيرة: المرجع السابق، ص٨٥.

(٣٩) مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، ص١٥٢.

(٤٠) **بلاد الزنج**: يقصد بها في المصادر بلاد ساحل شرق أفريقيا التي تمتد من مقدشو شمالاً، وحتى ميناء سفالة الذهب (سوفالا) جنوبًا، وهذه الأخيرة تقع في موزمبيق حاليًا، وللمزيد عن هذه البلاد، المسعودي: مروج الذهب، جـ١، ص١٧-١٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٦٤. وللمزيد عن هذه البلاد، انظر:

Zoe March: East Africa through Contemporary Records, Cambridge, 1961, P. 2.

J. Spencer Trimmingham: A History of Islam in West Africa, Oxford University Press, London, 1975, P. 85.

(٤١) النقيرة: **انتشار الاسلام**، ص٨٥.

(٤٢) المرجع السابق، ص٨٥.

(٤٣) تأليف مجموعة من الباحثين: **المسلمون في إقليم شرق افريقيا السواحيلية**، منظمة الدعوة الاسلامية، الخرطوم، ٢٠٠٩م، ص٥٦.

(٤٤) المسعودي: **مروج الذهب**، جـ١، ص٨٤، وانظر أيضًا: باسيل دافيدسون: **أفريقيا القديمة**، ترجمة: نبيل بدر، سلسلة الشرق والغرب، عدد٣٩، القاهرة، ص٦٥، جمال زكريا قاسم: **المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا**، الجمعية التاريخية المصرية، مجلد١٤، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٧٤-١٧٥.

(٤٥) شوقي عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص44-43.

(٤٦) مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، ص١٥٢.

(٤٧) الثقافة السواحلية ثقافة نتجت عن الاختلاط بين العرب والفرس المسلمين مع السكان المحليين على ساحل شرق أفريقيا، وهي البلاد المعروفة ببلاد الزنج، (انظر رولاند أوليفر: **موجز تاريخ أفريقية**، ترجمة: الدكتورة دولت أحمد صادق، سلسلة دراسات أفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٠٣ وما بعدها، وانظر عبد الرحمن عثمان: **أوضاع المسلمين في إقليم شرق أفريقيا**، ص٥٣-٥٩).

(٤٨) شوقي عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص٤٥.

(٤٩) النقيرة: **انتشار الإسلام**، ص١٠٣.

(٥٠) المرجع السابق، ص١٠٣.

(٥١) ابن بطوطة: **الرحلة**، جـ١، ص٢٤٧.

(٥٢) المصدر السابق، ص٢٤٧، أشار ابن بطوطة إلى أنه لما زار بلاد عمان كانت عاصمتها في ذلك الوقت تدعى نزوا وهي مدينة في سفح الجبل، وتحف بها البساتين والأنهار، وأهلها يعتنقون مذهب الاباضية، وهم يصلون الجمعة وقت الظهر أربع ركعات على غير ما يقوم به أهل السنة ومن عاداتهم أنهم إذا فرغوا من صلاة الجمعة قرأ الإمام بعض الآيات من القرآن ثم يقول خطبة يترضى فيها على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بينما كان يسكت عن ذكر عثمان وعلي بن أبي طالب. وهؤلاء الإباضية إذا أرادوا الحديث عن الإمام على أو ذكره كانوا يقولون اسمه كناية، فيقولون: ذكر عن الرجل أو قال الرجل (يقصدون عليا). بينما كان هؤلاء الاباضية يترضون عن ابن ملجم قاتل على وينعتونه باسم "البعد الصالح قامع الفتنة" (انظر ابن بطوطة: **الرحلة**، جـ١، ص٢٤٦).

(٥٣) عبد الرحمن عثمان: **أوضاع المسلمين في إقليم شرق افريقيا**، ص٥٦.

(٥٤) السيوطي: **حُسن المحاضرة**، جـ١، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٤٦.

(٥٥) للمزيد عن ترجمة الامام الشافعي انظر الشافعي: **الرسالة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣ وما بعدها، ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ١٠، ص٢٦٢ وما بعدها، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، جـ٢، ص١٧٦–١٧٧، السيوطي: **حسن المحاضرة**، جـ١، ص٢٦٤، ابن اياس: **بدائع الزهور**، جـ١، ص١٤٣، عبد العزيز الشناوي: **الائمة الأربعة**، مكتبة الايمان، المنصورة، ٢٠٠٦م، ص٣ وما بعدها.

(٥٦) ابن اياس: **النجوم الزاهرة**، جـ١، ص١٤٣–١٤٤.

(٥٧) وعن ارتباط الإمام الشافعي بـ"أرض مصر"، تذكر المصادر التاريخية أن أم الشافعي كانت قد رأت في منامها وكانت

لاتزال حاملاً بابنها الشافعي أن نجما خرج من بطنها، وكان له ضوء عظيم، ثم سقط هذا النجم بأرض مصر، ثم طارت من هذا النجم شظايا، وتناثرت منه ي سائر الآفاق. فلما ت. أم الشافعي هذه الرؤية التي رأتها، الوا لها: سيخرج من بطنك مولود، كون من كبار العلماء، ويخص علمه أهل مصر دون غيرها من البلدان، ثم ينتشر علم هذا الابن في سائر بلاد الدنيا (ابن إياس: **بدائع الزهور**، جـ١، ص١٤٣).

(٥٨) ابن إياس: جـ١، ص١٤٤–١٤٥.

(٥٩) يذهب أهل العلم إلى أن الشافعي هو الذي جعله الله على رأس المائة الثانية من مجددي العلم في أمة الإسلام، قال أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ): "إن الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله (ﷺ) الكذب، فنظرنا في رأس المائة الأولى عمر بن عبدالعزيز، وفي رأس المائتين الشافعي.." (السيوطي: **حسن المحاضرة**، جـ١، ص٢٦٤).

(٦٠) الشافعي: **كتاب الرسالة** (ترجمة الإمام الشافعي)، ص٥. قال عنه تلميذه الفقيه المصري يونس بن عبد الأعلى: "لو جمعت أمة لوسعهم الشافعي.." (ابن تغري بردي: **النجوم الزاهر**، جـ٢، ص١٧٦–١٧٧).

(٦١) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهر**، جـ٢، ص١٧٧.

(٦٢) الشافعي: **الرسالة**، ص١١. وقال بدر الدين الزركشي: "الشافعي أول مَنْ صنف في أصول الفقه، صنف فيه كتاب الرسالة، وكتاب أحكام القرآن، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وكتاب جماع العلم، وكتاب القياس.." (انظر، الشافعي: **الرسالة** (مقدمة المحقق)، ص١١).

(٦٣) الشافعي: المصدر السابق، ص١١.

(٦٤) وللمزيد عن انتشار مذهب الشافعي على ساحل شرق أفريقيا أكثر من غيره من المذاهب الأخرى، انظر ابن بطوطة: **الرحلة**، جـ١، ص٢٢٩، وانظر ابن بطوطة: جـ١، ص٢٣٣-٢٣٤. وانظر حسن جوهر (وآخرون): **الصومال**، سلسلة شعوب شعوب العالم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ص٥٦.

(٦٥) ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ١٠، ص٢٦٣. وللمزيد عن دور التأثير اليمني في انتشار المذهب الشافعي في شرق أفريقيا، انظر أيمن فؤاد سيد: **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن ٦هـ**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٥٨، محمد عبد العظيم الخولي: **العرب ودورهم الحضاري في شرق أفريقيا سلطنة كلوة (٦٧٦-٨٢٤هـ)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١١م، ص٢٦-٢٧. وكان من أوائل علماء الشافعية الذين ساهموا في نشر المذهب الشافعي في اليمن أبو القاسم بن محمد الجمي (ت: ٤٣٧)، ويقال إن مذهب الشافعي ومؤلفاته قبل أبي القاسم وأصحابه لم تكن مشهورة في بلاد اليمن (أيمن فؤاد سيد: **المذاهب الدينية في بلاد اليمن**، ص٥٩-٦٠). يقول أيمن فؤاد سيد: "صار مذهب الشافعي هو مذهب لدول السنية التي حكمت اليمن، وكان ملوك وسلاطين هذه الدول حريصين على تنشئة أولادهم على اعتناق هذا المذهب، ودراسة أصوله.." (**تاريخ المذهب الدينية في بلاد اليمن**: ص٦٣).

(٦٦) عبد الرحمن محمد علي شمس الدين: **جهود علماء شرق أفريقيا في خدمة مذهب الإمام الشافعي**، مجلة العلماء الأفارقة، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، العدد الأول، اكتوبر ٢٠١٩م، ص١١٠.

(٦٧) **مقدشو**: تقع في شرق أفريقيا، وهي عاصمة الصومال، وقد نالت هذه المدينة شهرة كبيرة خلال العصر الوسيط، وكانت سلطنة مزدهرة بفضل موقعها، ودورها في ازدهار حركة التجارة على سواحل شرق أفريقيا. وعن مقدشو، يقول القلقشندي: "وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة، وخط الأستواء.. وهي مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة.. ولها نهر عظيم أشبه بنيل مصر" (القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ٥، تقديم: الدكتور فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣٣٦).

(٦٨) ابن بطوطة: **الرحلة**، جـ١، ص٢٢٩، وكذلك ص٢٣٣-٢٣٤. ولا يزال المذهب الشافعي له وجود قوي في بلاد الصومال حاليا ويدرس هذا المذهب أكثر من غيرهن يقول حسن محمد جوهر: "وفي قرى الصومال وبواديها مساجد كثيرة، ووسط الأحراش مساجد تقام في الخلاء، وتفرش بالعشب، ومع بساطتها يحرص الصوماليون على اقامة شعائرهم الدينية فيها.. ويلقن العلماء في هذه المساجد تلاميذهم العلوم الدينية ومذهب الإمام الشافعي بخاصة" (حسن محمد جوهر: **الصومال**، ص٥٦).

(٦٩) **بلاد الزيلع**: وهي تشتهر باسم بلاد الطراز الإسلامي، وه سبع ممالك قامت على ساحل البحر الأحمر القريب من بلاد الحبشة، وتقع آراضي البلاد حاليًا في دولة ارتيريا. وأكبر هذه الممالك أوفات، أو جبرت (جبرة)، ومن ممالكها أيضا: بالي، أرابيني، شرحا، دراة، دوارو (للمزيد عن هذه الممالك، انظر العمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، ص١٩٥، القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ٥، ص٣٢٥-٣٣٠).

(٧٠) العمري: جـ١، ص١٩٥.

(٧١) انظر القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ٥، ص٣٢٥-٣٣٠، المقريزي: **الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام**، ص٢٣٤-٢٣٥، ابن بطوطة: **الرحلة**، جـ١، ص٢٣٠-٢٣٥.

(٧٢) **سواكن**: ميناء على ساحل "البحر الأحمر"، وتجد جزيرة أيضًا تحمل ذات الاسم، يقع في السودان حاليًا، لعب دورًا مهمًا في التجارة عبر البحر الأحمر، وكذلك في رحلات الحج، وقد زادت أهمية سواكن بعد دمار ميناء عيذاب جنوب شرق السواحل المصرية على يد سلاطين المماليك.

(٧٣) **سلطنة الفونج**: اختلف الآراء حول أصل الفون>، ما بين الأصل العربي، أو الأصل الأفريقي الزنجي.. إلخ، ولكن على أية حال تحالف الفونج مع عرب العبدلاب في مملكة علوة، وتمكنوا من اضعاف مملكة علوة، واسقط حكم ملوكها المعروفين اسم العنج، ومن ثم تم اعلان تأسيس سلطنة الفونج على يد زعيمهم الملك عمارة دنقس (للمزيد، أحمد بن الحاج أبو علي: **مخطوطة كاتب الشونة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م، ص١٢٩، الشاطر بصيلي عبد الجليل: **معالم تاريخ سودان وادي النيل**، مكتبة الشريف الأكاديمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٩ وما بعدها).

(٧٤) ود ضيف الله: كتاب **الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين**، تحقيق: يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للنشر، دون تاريخ، ص٤-٥، كرم الصاوي: **ممالك النوبة**، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٧٥) ود ضيف الله: **كتاب الطبقات**، ص٤-٥.

(٧٦) المصدر السابق، ص٤-٥.

(٧٧) ود ضيف الله: (مقدمة المحقق)، ص٥.
(٧٨) ود ضيف الله: **الطبقات**، ص٢١٢.
(٧٩) **أربجي**: مدينة معروفة في سودان وادي النيل، أقامها العرب من قبيلة جهينة في بلاد علوة، وهي المملكة الكبرى الثانية في بلاد النوبة مع مملكة المقرة التي سقطت في حوالي سنة ٧٢٣هـ ومن ثَمَّ قامت على أنقاضها دولة الكنوز الإسلامية في بلاد النوبة. وللمزيد عن تأسيس أربجي، انظر أحمد بن الحاج علي: كاتب الشونة، ص٤، وانظر أيضًا محمد محمد أمين: العبدلاب، ص١٩٣. وانظر:
Mcmichel: A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge, 1922, P. 139.
(٨٠) **مملكة علوة**: هي الممالكة الثالثة من ممالك النوبة المسيحية، والمملكتان الأخريتان هما: مملكة نوبادیا جنوب مصر، والثانية مملكة المقرة. وكانت عاصمة علوة مدينة سوبا. وقد هاجر الهنيون إلى علوة بكثافة بعد سقوط مملكة المقرة (سنة ٧٢٣هـ)، وتزاوج الجهنيون العرب مع زعماء علوة مما أدى لانتقال الحم للعرب، ثم أخذت مملكة علوة تضعف مع قوة الوجود العربي لاسيما بعد التحالف مع الفونج ضد ملوك علوة. ثم سقط علوة بعد ذلك مع بدايات القرن ١٠/١٦م (وللمزيد، الفحل الفكي الطاهر: **تاريخ وأصول العرب بالسودان**، طبعة الخرطوم، دون تاريخ، ص١٢-١٣، وانظر إسماعيل حامد إسماعيل علي: **قبيلة جهينة ودورها الحضاري في مصر وسودان وادي النيل**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٤٢-٢٤٣).
(٨١) ود ضيف الله: مقدمة المحقق، ص٥.
(٨٢) المصدر السابق، (مقدمة المحقق)، ص٥.
(٨٣) كرم الصاوي باز: **ممالك النوبة**، ص٣٤٦–٣٤٧.
(٨٤) المرجع السابق، ص٣٤٧.
(٨٥) العمري: **مسالك الأبصار**، جـ١، س١٩٥.
(٨٦) المصدر السابق، س١٩٥.
(٨٧) عبد الرحمن شمس الدين: **جهود علماء شرق أفريقيا**، ص١١٠.
(٨٨) المرجع السابق، ص١١٠.
(٨٩) المرجع السابق، ص١١٠.
(٩٠) ابن بطوطة: **الرحلة**: جـ١، ص٢٢٩– ٢٣٠. وللمزيد عن انتشار "المذهب الشافعي" بمدينة "زيلع" (الزيلع)، انظر عبد المجيد عابدين: **بين العرب والحبشة**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٥٦.
(٩١) ابن بطوطة: **الرحلة**، ص٢٣٠.
(٩٢) المقريزي: **الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام (رسائل المقريزي)**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٣٥.
(٩٣) المصدر السابق، ص٢٣٥.
(٩٤) القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ٥، ص٣٢٦.
(٩٥) وعن انتشار مذهب الشافعي في بلاد الزيلع، يقول عبد المجيد عابدين: "ومن مضافاتها زيلع، وهي فرضة من فرض هذه البلاد، وأهلها مسلمون، وغالب أهلها شافعية" (عابدين: **بين العرب والحبشة**، ص١٥٦).
(٩٦) المقريزي: المصدر السابق، ص٢٣٥.
(٩٧) القلقشندي: **صبح الأعشى**، جـ٥، ص٣٢٨.
(٩٨) المقريزي: المصدر السابق، ص٢٣٥.
(٩٩) **ممبسا**: مدينة مشهورة تقع على ساحل شرق أفريقيان أو ما يعرف باسم بلاد الزنج، وتقع هذه المدينة حاليًا في كينيا، وكانت لها شهرة تجارية مهمة خلال العصر الوسيط، وللمزيد عن هذه المدينة، انظر
(١٠٠) **الرحلة**: جـ١، ص٢٢٩ – ٢٣٠. وللمزيد عن المذهب الشافعي في سلطنة كلوة الإسلامية، انظر محمد عبد العظيم الخولي: **العرب ودورهم في شرق أفريقيا**، ص٢٦.
(١٠١) ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٣٣.
(١٠٢) المصدر السابق، ص٢٣٣.
(١٠٣) عطا محمد كنتول: **أوضاع المسلمين في أفريقيا الشرقية** (أوضاع المسلمين في أفريقيا دول جنوب الصحراء)، منظمة الدعوة الاسلامية، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ٢٠٠٩م، ص٩، ويشكل المسلمون في أثيوبيا أكثر من ٥٦ في المائة من عدد السكان، وهو ما يعادل حوالي ٢٦ مليون نسمة حسب تعداد أواخر القرن العشرين لميلادي (عطا كنتول: المرجع السابق، ص٨-٩). كما أن سكان الصومال في الوقت الحالي والذين تصل نسبة المسلمين هناك إلى أكثر من ٩٩ % من نسبة السكان (أي حوالي سبعة ونصف مليون نسمة-حسب إحصاء سنة ١٩٩١م) غالبيتهم على "المذهب الشافعي" (عطا كنتول: المرجع السابق، ص١٢). أما المسلمون في جيبوتي (حوالي ٩٦ % من جملة سكان هذه البلاد حسب احصاء سنة ١٩٩١م) فهم أيضا من أتباع "المذهب الشافعي (عطا كنتول: المرجع السابق، ص١٣).